

روح المعاني

بالصحة كما لا يخفى ولا تبذر تبذيرا 62 نهى عن صرف المال إلى من لا يستحقه فإن التبذير إنفاق في غير موضعه مأخوذ من تفريق البذر وإلقائه في الأرض كيفما كان من غير تعهد لمواقعه وقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود أنه قال : التبذير إنفاق المال في غير حقه وفي مفردات الراغب وغيره أن أصله إلقاء البذر وطرحه ثم استعير لتضييع المال وعد من ذلك بعضهم تشييد الدار ونحوه وفرق الماوردي بينه وبين الإسراف بأن الإسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز في موقع الحق وهو جهل بالكيفية وبمواقعها وكلاهما مذموم والثاني أدخل في الذم .

وفسر الزمخشري التبذير هنا بتفريق المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وذكر أن فيه إشارة إلى أن التبذير شامل للإسراف في عرف اللغة ويراد منه حقيقة وإن فرق بينهما بما فرق وفي الكشف بعد نقل الفرق والنص على أن الثاني أدخل في الذم أن الزمخشري لم يغب ذلك عليه لأن الاشتقاق يرشد إليه وإنما أراد أنه في الآية يتناول الإسراف أيضا بطريق الدلالة إذ لا يفترقان في الأحكام لا سيما وقد عقبه سبحانه بالحث على الاقتصاد المناسب لاعتبار الكمية المرشد إلى إرادته من النص وتعقب بأنه إذا كان التبذير أدخل في الذم من الاسراف كيف يتناوله بطريق الدلالة والنهي عن الاسراف فيما بعد يبعد إرادته ههنا فتأمل . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوما في قرن الشياطين والإخوان جمع أخ والمراد به المماثل مجازا أي أنهم مماثلون لهم في صفات السوء التي من جملتها التبذير أو الصديق والتابع مجازا أيضا أي أنهم أصدقاؤهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي أو القرين كما سبق أيضا أي أنهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد .

وكان الشيطان لربه كفورا 72 من تتمة التعليل أي مبالغة في كفران نعمه تعالى لأن شأنه صرف جميع ما أعطاه ١١ تعالى من القوى والقدر إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر ١٢ تعالى وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر ١٣ تعالى به .

وفي تخصيص هذا الوصف بالذكر من بين صفاته القبيحة إيدان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم ١٤ تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو مصرفها إلى ما

خلقت له وفي التعرض لعنوان الربوبية إشعار بكمال عتوه كما لا يخفى ويشعر كلام بعضهم

بجواز حمل الكفر هنا على ما يقابل الإيمان وليس بذاك .

وإما تعرض عنهم أي عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل على ما هو الظاهر وقيل عن السائلين مطلقا والإعراض في الأصل إظهار العرض أي الناحية فمعنى أعرض عنه ولى مبدىا عرضه والمراد به هنا حقيقته على ما قيل بناء على ما روي من أنه كان إذا سئل شيئا ليس عنده صرف وجهه الشريف وسكت فنزلت وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والخطاب عام له ولغيره والمراد بالرحمة على ما أخرج ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك الرزق ونصب ابتغاء على أنه مفعول له .

قال في الكشف قد أقيم ابتغاء الرزق مقام فقدانه وفيه لطف فكان ذلك الإعراض لأجل السعي

لهم وهو